فذبحوها وما كادوا يفعلون

يُخبر تعالى أنَّ الذين آمَنوا من أمَّة محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ، ومَن كان منهم على الدِّين الحقِّ في وقْته قَبلَ وقوع النَّسخ، أو حدوث التحريفِ، من اليهود، والنَّصارى، والصَّابئين- يخبر أنَّ الذين أحسنوا منهم، وأطاعوا، فلهم ثوابُهم عند ربهم، ولا خوفٌ عليهم فيما يستقبلونه، ولا هم يحزنون على ما يُخلِّفونه، وأمَّا بعد بعثةِ النبيِّ محمَّد صلَّى الله عليه وسلَّمَ، فلا يَدخُل في هذا الوعدِ بـهذا الأجْر إلَّا مَن آمن به، والْتزَم بشَرعِه.

ثم ذكَّر سبحانه وتعالى بني إسرائيل حين أَخَذ عليهم عهدًا مُؤكَّدًا، بالإيمانِ به وبرُسلِه، والالتزامِ بشَرْعِه، وأنَّه رفَع فوقهم الجبلَ لتخويفهم؛ كي يُقرُّوا بما عُوهدوا عليه، وأمَرَهم بأخْذ التوراة بهِمَّة وحزْم، وأن يذكروا ما فيها، بأنْ يتلوها ويَعمَلوا بما فيها؛ رجاءَ أن يكونوا من المتَّقين.

ثم أخبَر سبحانه وتعالى أنَّهم نقَضُوا العهدَ، وأعرضوا عنه، فلولا أنْ أكرمَهم الله تعالى، فتداركهم بالتوبةِ، لكانوا من الهالِكين في الدُّنيا والآخِرة.

ثم يأتي الخبر عن أهل القرية التي عصت أمر الله وخالفت عهده وميثاقه فيما أخذه الله عليهم

(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (66).

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ} [يوسف: 111]، فلا بد أن نتعلم، ونستفيد، ونطبق هذه القصص على واقعنا وعلى حياتنا، وليس فقط أن نجعلها مجرد حكاية للتسلية.

وقد عَرفتم يا معشرَ اليهود، الذين تَعدَّوْا حدودَ الله منكم، وتجاوزوا ما أمرهم الله به مِن تَرْك صَيد البَحر يومَ السَّبت، فمَسخَهم الله في صور قِردَةٍ حَقيرينَ ذَليلينَ، فجَعَل الله هذه العقوبةَ رادعةً لِمَن حول الممسوخين، وتذكرةً للمتَّقين؛ ليعتبروا بها.

⇦كان اليهود، قبل بعثة النبي، يكتمون هذه القصة لما فيها من التوبيخ والذل لهم على ماجرى مع بعض أسلافهم من بني إسرائيل من الإهلاك والمسخ، لكن الله فضحهم في القرءان الكريم عندما أوحى إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم تلك القصة ليحذر اليهود من تعنتهم وتكبرهم ورفضهم الإيمان به عليه الصلاة والسلام مذكرا إياهم ما حل بإخوانهم في القرية "أيلة"،

✉ يؤخذ من هذه الآية من الفوائد والهدايات من قوله :(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ) فهنا دخلت اللام وقد، هذه تفيد التوكيد بلا شك، ويحتمل أن يكون ذلك أيضًا جوابًا لقسم محذوف، والله لقد علمتم الذين اعتدوا في السبت، وما جرى لهم من العقوبة والنكال، وذلك أن مثل هذا الخبر يحتاج إلى توكيد؛ لأن عاقبتهم فيه كانت في غاية القبح، حيث مسخوا إلى قردة، وذلك مظنة أن ينكروا ذلك، وأن يكابروا فيه، كيف مُسخ بعض أوائلهم إلى قردة.خالد السبت

قال الرازي: المقصود من ذكر هذه القصة أمران :

❶ : إظهار معجزة محمد عليه السلام فإن قوله (وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ) كالخطاب لليهود الذين كانوا في زمان محمد عليه السلام فلما أخبرهم محمد عليه السلام عن هذه الواقعة مع أنه كان أمياً لم يقرأ ولم يكتب ولم يخالط القوم دل ذلك على أنه عليه السلام إنما عرفه من الوحي.

❷ : أنه تعالى لما أخبرهم بما عامل به أصحاب السبت فكأنه يقول: لهم أما تخافون أن ينزل عليكم بسبب تمردكم ما نزل عليهم من العذاب فلا تغتروا بالإمهال الممدود لكم.

وقد جاءت القصة مبسوطة في سورة الأعراف ، قال تعالى (وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (163) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (164) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (165) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (166)الأعراف

(وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ) أي واسأل يا محمد اليهود عن أخبار أسلافهم وعن أمر القرية .

(الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ) مبنية على شاطئه بحضرته قريباً منه .

⇦أي قريبةً مِن شاطِئِه، وأصلُ (حضر) إيرادُ الشَّيءِ، ووُرودُه ومُشاهَدَتُه. موسوعة التفسير

وملخص قصتهم : كانت هذه القرية محرم عليهم الاصطياد يوم السبت - ابتلاء واختباراً من الله - وكان يشتد قرمهم إلى لحم السمك - القَرَم بفتحتين : شهوة اللحم - وكان الله افتتنهم فتنة ، كان إذا كان يوم السبت جاءهم السمك على وجه البحر أفواجاً أفواجاً ، فإذا غربت الشمس يوم السبت تمنّع في البحر فلا يقدرون على شيء منه ، وهذا ابتلاء وامتحان لهم ، فمكثوا من الزمن بهذا ما شاء الله ، ثم بعد ذلك اشتدت شهوتهم إلى اللحم، فصاروا يحتلون على السمك يوم الجمعة - مثلاً - فيحفرون فيُجرُون في الماء أخاديد يسيل فيها الماء ، فإذا انتهت حفروا حُفراً عميقة ، فإذا جاء الحوت مع تلك الأخاديد المائية نزل في الحفر فلا يقدر على الرجوع فأخذوه يوم الأحد ، وكان بعضهم – فيما يقولون – يجعل في ذنب الحوت خيطاً ويدق وتداً على الشاطئ، ويمسك رأس الخيط فيه، فيبقى الحوت في الماء ممسكاً بالخيط، فإذا غربت شمس يوم السبت جاء وأخذه، فلما فعلوا هذه الحيل ولم يعاجلهم العذاب كأنهم تجرؤا وتشجعوا وقالوا : لعل حرمة صيد السمك رفعها الله ، لأنه لم يفعل بنا بأساً ، فلم يزالوا يتدرجون في الحيل حتى صار بعضهم يصطاده علناً ويملحونه ويبيعونه في الأسواق ، وكانوا ثلاث طوائف : طائفة باشرت العدوان يوم السبت واصطياد السمك ، وطائفة نهتهم عنه ، وطائفة سكتت ، وقد بيّن الله أن الذين اعتدوا في السبت عذبهم عذاباً بئيساً وهو مسخهم قردة ، والطائفة التي نهتهم أنجاهم ، وسكت تعالى عن الطائفة الساكتة .خالد السبت

⇦**احتالوا لقلة صبرهم وشدة طمعهم.**

جزاء الفاسقين العاصين في الليل جاء أمر الله فانتقم من الذين فسقوا ومسخ شبانهم قردة وعجائزهم خنازير، فقام الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر صباحاً وذهبوا إلى أعمالهم ومجتمعاتهم فلم يروا أحداً من الفاسقين، فاستغربوا وتساءلوا فيما بينهم وقام أحدهم ووضع سلما على الجدار فلما أشرف على القوم رأى عجباً، إذ أصبح الفساق قردة لها أذناب يتعاوون ويقفزون على بعضهم، وخنازير تصدر أصواتاً قبيحة، ففتحوا عليهم الأبواب ودخلوا، وصار كل قرد يأتي قريبه من الإنس فيشم ثيابه ويبكي ، ولم يبق الذين مسخوا أحياء أكثر من ثلاثة أيام، لم يأكلوا خلالها ولم يشربوا ولم يخرج منهم نسل، قال النبي ﷺ أخبر :(إن الله لم يجعل لمسخ نسلا) مسلم يعني إذا مُسخ شيء، إذا مُسخ أحد من الناس بصورة شيء من هذه الدواب والبهائم والحيوانات ونحو ذلك لا يكون له نسل، يعني ينقرض مباشرة، أولئك الذين مسخوا لا يتناسلون ، وكانوا عبرة لمن بعدهم من الأمم.

⇦**فأوجب لهم هذا الذنب العظيم، أن غضب الله عليهم وجعلهم قردة عقوبة لهم.**

(وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (65) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (66)

(قِرَدَةً خَاسِئِينَ) حقيرين ذليلين.

قال الشنقيطي: القردة: جمع قرد، وهو الحيوان المعروف، وهو من أخس الحيوانات، والدليل على أنه من أخس الحيوانات أن الله مسخ في صورته من أراد إذلالهم وإهانتهم وصغارهم.

(فَجَعَلْنَاهَا) اختلف في مرجع الضمير على أقوال: قيل: العقوبة .

وقيل : القرية ، وهذا الصحيح .

ورجحه ابن كثير، وقال: والصحيح أن الضمير عائد على القرية، أي فجعل الله هذه القرية والمراد أهلها بسبب اعتدائهم في سبتهم.

(نَكَالاً) أي عاقبناها عقوبة فجعلناها عبرة .

قال القرطبي: والنّكال: الزجر والعقاب، والنِّكْل والأنكال: القيود، وسُمِّيت القيود أنكالاً لأنها يُنْكل بها، أي يمنع، والتّنكيل: إصابة الأعداء بعقوبة تُنَكِّل مَن وراءهم؛ أي تُجَبِّنهم.

⇦نَكَالًا: أي: تنكيلًا وعقوبةً، وعِبرةً وعِظةً لمن وراءهم، وأصله: المنع والامتناع؛ وسمِّي النَّكال؛ لأنَّه فعل به ما يمنعه من المعاودة، ويمنع غيرَه من إتيان مِثل صنيع. موسوعة التفسير

(لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا) أي: لمن حضرها من الأمم، وبلغه خبرها، ممن هو في وقتهم.السعدي

(وَمَا خَلْفَهَا) أي: من بعدهم، فتقوم على العباد حجة الله، وليرتدعوا عن معاصيه.

(وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) المراد بالموعظة هنا الزاجر، أي جعلنا ما أحللنا بهؤلاء من البأس والنكال في مقابلة ما ارتكبوه من محارم الله وما تحيلوا به من الحيل، فليحذر المتقون صنيعهم لئلا يصيبهم ما أصابهم.

قال الرازي: (وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ) أن : من عرف الأمر الذي نزل بهم يتعظ به ويخاف إن فعل مثل فعلهم أن ينزل به مثل ما نزل بهم ، وإن لم ينزل عاجلاً فلا بد من أن يخاف من العقاب الآجل الذي هو أعظم وأدوم .

وقال الآلوسي: (وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) الموعظة ما يذكر مما يلين القلب ثواباً كان أو عقاباً . ولكنها لا تكون موعظة نافعة إلا للمتقين، وأما من عداهم فلا ينتفعون بالآيات.

⇦أن العقوبات وما فيها من التنكيل تكون عظة وعبرة تردع المذنب ولربما استأصلته، وتكون أيضًا زاجرة لغيره ممن تسول له نفسه أن يفعل فعله، فالسعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه. خالد السبت

والموعظة تارة تكون بالمشاهد، وما يقع وما يجري فإن أهل الإيمان يتعظون ويعتبرون بكل ما يشاهدونه.

وكذلك أيضًا تكون الموعظة بما يُسمع، والله تعالى لما قص أخبار الأمم التي أنزل بها بأسه قال :(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) [سورة ق:37] على القولين المشهورين في الآية، فالجمهور من المفسرين يقولون :(لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) إن الـ "أو" هذه بمعنى الواو، يعني له قلب حي وقّاد مع إحضار قلبه عند السماع والإنصات لما يُلقى، فهذا الذي تحصل له الموعظة إذا استجمع هذه الأوصاف الثلاث، صاحب قلب حي ما طبع على قلبه، وأحضر قلبه لم يكن قلبه مشغولاً حينها بشيء آخر، وأحضر سمعه، فهذا يتعظ وينتفع. خالد السبت

وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ

كما قال الحافظ ابن القيم : هناك قسمين من الناس:

القسم الأول: وهو صاحب الفطنة والقلب الكامل كامل الحياة، فهذا يتعظ بأدنى إشارة بأدنى تنبيه لا يحتاج إلى شرح ولا تفصيل ولا تركيز ولا، كما قيل: الحر تكفيه الإشارة إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ.

والقسم الثاني: هو الذي فيه نوع بطء وتأخر في الفهم والاتعاظ والاعتبار، هذا يحتاج أن يُحضر قلبه وأن يُركز مع الملقي، فهذا ينتفع ويحصل له بذلك الذكرى.

فيؤخذ منه أنه بقدر ما يتحلى به الإنسان من تقوى الله تعالى يحصل الاتعاظ والاعتبار والانتفاع، فإذا ترحَّلت التقوى من القلب لا يتعظ ولو وقع له ذلك بنفسه لا يتعظ، يخرج من هذه العظة التي يعتبر بها أولو الألباب وكأن شيئًا لم يكن، كأنه ما وقع له ضُر، ولم يقع له مكروه، ولم يقع له عقوبة، والناس يعتبرون به، لكن هكذا القلوب إذا صارت إلى حال من استحكام الغفلة . خالد السبت

فائدة من الآية: تحريم الحيل المحرمة وأن ذلك من صفات اليهود .

والحيلة: التوصل إلى أمر محرم بفعلٍ ظاهره الإباحة، والحيل حرام لقوله ε (لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل)صحيح ابن باز ولأن المتحيل فيه نوع استهزاء بالله تعالى .

فكل من تحيل لارتكاب محرم [إما بإسقاط واجب أو فعل محرم] فقد ارتكب مفسدتين :

الأولى : مفسدة التحايل . **الثانية :** مفسدة فعل المحرم .

كمن سافر من أجل أن يفطر، أو مثل المعاملات الربوية ، يعرض نفسه لسخط الله عليه .

أن الله سبحانه أخبر عن أهل الجنة الذين بلاهم بما بلاهم به في سورة (القلم) وأنه عاقبهم بأنه أرسل على جنتهم طائفاً وهو نائمون فأصبحت كالصريم ، وذلك لما تحيلوا على إسقاط نصيب المساكين ، بأن يصرموها مصبحين ، قبل مجيء المساكين ، فكان في ذلك عبرة لكل محتال على إسقاط حق من حقوق الله تعالى أو حقوق عباده .

وهذا المسخ هو عقوبة من الله تعالى لهم على ارتكابهم ما حرم الله عليهم، وهذه العقوبة ليست خاصة ببني إسرائيل، بل أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم أنه لن تقوم الساعة حتى يقع في هذه الأمة مسخ، وتوعد بذلك الذين يكذبون بالقدر، والذين يشربون الخمر ويستمعون الغناء - أعاذنا الله من ذلك .

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ خَسْفٌ وَمَسْخٌ وَقَذْفٌ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ الْمُسْلِمِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَتَى ذَاكَ ؟ قَالَ إِذَا ظَهَرَتْ الْقَيْنَاتُ وَالْمَعَازِفُ وَشُرِبَتْ الْخُمُورُ) . صحيح الترمذي .

والقينات: هن المعنيات.

فليحذر العاقل من الإقدام على ما حرم الله ، فالويل ثم الويل لمن يثير غضب الله وسخطه وانتقامه – عافانا الله جميعاً من أساب عقوبته – .

فالواجب علينا أن نتقي الله -سبحانه وتعالى – التقوى إذا استقرت في القلوب وارتسمت بها الأقوال والأعمال والأحوال أثمرت وأعقبت من الفضائل والفوائد والثمار شيئاً كثيراً به تصلح الدنيا والآخرة دار القرار، فكل من أراد العز في الدين والدنيا والبركة في الرزق والوقت والعمل فعليه بتقوى الله -تعالى -فإنها من أعظم ما استنزلت به الخيرات واستدفعت المكروهات.

قال تعالى (وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ (68) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ (69) .

(وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُواْ بَقَرَةً)

أي: واذكروا يا بني إسرائيل، حين أخبَر موسى عليه السَّلام آباءَكم بأمْر الله تعالى لهم بذَبْح بقرة؛ كي يضربوا القتيل بجزء منها، فيَحيا القتيل، ويُخبرهم بقاتله، ولم يُحدِّد الله تعالى لهم بقرةً معيَّنة ولم يخبرهم بأوصاف محدَّدة، بل أي بقَرة ذبَحوها، فإنَّها تُفيد في تحقيق المطلوب. موسوعة التفسير

قال ابن عاشور : تعرضت هذه الآية لقصة من قصص بني إسرائيل ظهر فيها من قلة التوقير لنبيهم ومن الإعنات في المسألة والإلحاح فيها إما للتفصي من الامتثال ، وإما لبعد أفهامهم عن مقصد الشارع ورومهم التوقيف على ما لا قصد إليه.

⇦وسبب ذلك: أنه وجد قتيل في بني إسرائيل ولا يعرف قاتله، فأتوا موسى وطلبوا منه أن يسأل ربه عن قاتله، فأمرهم بذبح بقرة فقال (أن تذبحوا بقرة) .

عن عبيدة السلماني، قال: كان رجل من بني إسرائيل عقيما لا يولد له، وكان له مال كثير، وكان ابن أخيه وارثه، فقتله ثم احتمله ليلا فوضعه على باب رجل منهم، ثم أصبح يدعيه عليهم حتى تسلحوا، وركب بعضهم إلى بعض، فقال ذوو الرأي منهم والنهى: علام يقتل بعضكم بعضا وهذا رسول الله فيكم ؟ فأتوا موسى، عليه السلام، فذكروا ذلك له، فقال: (إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين) قال : فلو لم يعترضوا [البقر] لأجزأت عنهم أدنى بقرة ، ولكنهم شددوا فشدد عليهم ، حتى انتهوا إلى البقرة التي أمروا بذبحها فوجدوها عند رجل ليس له بقرة غيرها ، فقال : والله لا أنقصها من ملء جلدها ذهبا ، فأخذوها بملء جلدها ذهبا فذبحوها ، فضربوه ببعضها فقام فقالوا : من قتلك ؟ فقال: هذا، لابن أخيه. ثم مال ميتا، فلم يعط من ماله شيئا، فلم يورث قاتل بعد.

ورواه ابن جرير من حديث أيوب ، عن محمد بن سيرين ، عن عبيدة بنحو من ذلك والله أعلم .

⇦ أتى بني إسرائيل نبيهم موسى وطلبوا منه أن يسأل ربه عن قاتل الرجل ، فأمرهم بذبح بقرة فقال (أن تذبحوا بقرة) ، وكان من الواجب المبادرة إلى امتثال أمره، وعدم الاعتراض عليه، ولكنهم أبوا إلا الاعتراض.

⇦وظاهر هذه الآية يدل على أنهم لو ذبحوا أيّ بقرة لأجزأت، ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدّد الله عليهم.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67)

فقالوا: (أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا) أي: إنَّهم استنكروا على موسى عليه السَّلام أمْره بذَبح بقرة، ورأوا أنَّ جوابه غيرُ محقِّقٍ لمقصودهم، فظنوا بموسى عليه السَّلام أنَّه هازئٌ وساخرٌ بهم في ذلك. الدرر السنية

⇦والهزء: اللعب والسخرية.

قال الشيخ سعيد مصطفى: سوء الظن مرضٌ يجري ممن ابتُلِيَ به مجرى الدمِ من العروقِ، ويستشري في أوصاله، حتى يجعل صاحبه يصف اتقى الناس بالفجور، وأعدل الناس بالجور، ويصف أكثر الناس جدية، بالاستهزاء والسخرية، اساءوا الظن بنبيهم فقالوا له {أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا}، وما بدرت منه يومًا من الأيام سقطة، ولا وقفوا منه يومًا على زلة.

ومثل هؤلاء في سوء ظنهم ذو الخويصرة الذي قال لأتقى الناس لله، وأعلم الناس بالله، وأبعد الناس عن الظلم، (اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ)، ولا ينتهي سوء الظن بصاحبه حتى يرد به موارد الهلاك، لأنه يحمله على أن يسيء الظن بربه عياذًا بالله.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ} .

وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِيَّاكُمْ والظَّنَّ، فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَديثِ) البخاري

وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ) مسلم

اللَّهُمَّ، إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ سُوءِ الظَّنِّ.

⇦فقال نبي الله موسى: **(أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** أي: إنَّ موسى عليه السَّلام استعاذَ بربِّه عزَّ وجلَّ من أن يكونَ في عِداد السُّفهاء، الذين يَستهزِئون بالنَّاس. الدرر السنية

⇦وفي الآية دليل على أن الذي يستهزئ بالناس جاهل سفيه.

فإن الجاهل هو الذي يتكلم بالكلام الذي لا فائدة فيه، وهو الذي يستهزئ بالناس، كما نرى اليوم من برامج تواصل ، يصل متابعيهم الى آلاف العقول البشرية وهذا عجيب.

وأما العاقل فيرى أن من أكبر العيوب المزرية بالدين والعقل، استهزاءه بمن هو آدمي مثله، وإن كان قد فضل عليه، فتفضيله يقتضي منه الشكر لربه، والرحمة لعباده.

قال الشيخ سعيد مصطفى ذياب : الجهل أقبح الصفات التي يمكن أن يوصف بها إنسان، لذلك استعاذ نبي الله موسى عليه السلام بالله أن يوصم بالجهل ، أو أن يكون من أولئك الذين يتصفون به.

ووعظ الله أنبيائه عليهم السلام مَوْعِظَةً يَرْفَعُهُم بِهَا عَنْ مَقَامِ الْجَاهِلِينَ، وينزههم أن يكون فيهم شيء من الجهل، قَالَ تَعَالَى لنوحٍ عليه السلام: {فَلا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ} .

وَقَالَ تَعَالَى لنبيه لمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ} .

ومن قُبْحِ الجهلِ أنه سببُ كلِ بلاءٍ وشرٍ، وسببُ كلِ معصيةٍ وإثمٍ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ}، وبالجهل أُلْقِي يُوسُفُ عليه السلام فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وتعرضَ لصنوفِ المحن، قَالَ تَعَالَى: {هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ} .

والجهلُ رجسٌ ينبغي البعد عنه، قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلامًا} .

والجهلُ دنسٌ ينبغي الإعراض عمن يتصف به، وَقَالَ تَعَالَى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} .

وَقَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ} .

فإياك والجهل، فاحذر أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ، واربأ بنفسك أَنْ تَكُونَ مَعَ الْجَاهِلِينَ، وارغب إلى ربك أَنْ ينزهك عَنِ الْجَاهِلِينَ.

وليس الجهل أنك لا تحفظ كثيرا، ولكن الجهل أنك لا تعرف قدر ربك.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَةِ وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْخَشْيَةُ .

وَقَالَ أَيْضًا: كَفَى بِخَشْيَةِ اللَّهِ عِلْمًا، وَكَفَى بِاغْتِرَارٍ بِاللَّهِ جَهْلًا.

اللهم إنا نعُوذُ بِكَ أَنْ نكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ.

(قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ) أي ما سنها .

⇦أي: يُخبِر سبحانه عن تعنُّت بني إسرائيل، وكثرةِ سؤالهم لموسى عليه السَّلام، وأنَّهم لَمَّا ضيَّقوا على أنفسهم ضُيِّق عليهم، ولو أنَّهم ذَبَحوا أيَّ بقرة لكفتْهم، لكنَّهم شدَّدوا، فشُدِّد عليهم، فقالوا: ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِي، أي: اسأل لنا ربَّك ما هذه البقرة؟ صفْها لنا؛ لنعرفَها.الدرر السنية

✉**قال الشنقيطي** : لم يبين هنا مقصودهم بقولهم (ما هي) إلا أن جواب سؤالهم دل على أن مرادهم بقولهم في الموضع الأول (ما هي) أي ما سنها .

(قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ فَارِضٌ)أي : لا كبيرة هرِمَة ،

(وَلاَ بِكْرٌ) ولا صغيرة لم يُلْقَحْها الفحل .

(عَوَانٌ بَيْنَ ذٰلِكَ) أي وسط بين الكبيرة والصغيرة .

(فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ) أي افعلوا ما أمركم به ربكم ولا تتعنتوا ولا تشددوا فيشدد الله عليكم .

✉**قال القرطبي :**(فافعلوا مَا تُؤْمَرونَ) تجديد للأمر وتأكيد وتنبيه على ترك التعنّت فما تركوه.

(قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ) أي إنها بقرة صفراء شديدة الصفرة ، ولذلك أكد صفرتها بقوله :

(فَاقِعٌ لَّوْنُهَا) شديدة الصفرة .

(تَسُرُّ النَّاظِرِينَ) من حسنها.

⇦أي: طلَب بنو إسرائيل من موسى عليه السَّلام أن يَسألَ ربَّه عن لون البَقرة المطلوب ذبْحها، فجاءَهم الجوابُ بأنَّها بقرةٌ صفراءُ صافية، شديدةُ الصُّفرة، وتُدخِل السُّرورَ على مَن نظَر إليها؛ لشِدَّة حُسنها وجمال منظرها.الدرر السنية

(قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا) فلم نهتد إلى ما تريد ،أي لكثرتها ، فميّز لنا هذه البقرة ووصفها وجلّها لنا .

(وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ) إذا بينتها لنا، وقد جاء في حديث مرفوع (لولا أن بني إسرائيل قالوا: وإنا إن شاء الله لمهتدون، لما أعطوا، ولكن استثنوا) ، بـ(إن شاء الله) للتأدب مع الله في رد الأمر إليه في طلب حصول الخير .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حكاية عن بني إسرائيل: {وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ}.

قال الشيخ سعيد مصطفى ذياب : لا يخرج شيء مما يجري في الكون عن مشيئة الله تعالى، ولا يكون إلا ما يريد، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فأسلم له زمامك، وأسلم له أمرك، فالكون كونه وأنت عبده، واطرح نفسك بين يديه، وقل اللهم دبر لي فإني لا أحسن التدبير، ومن طاعتك له أنك إِذَا عَزَمْتَ عَلَى شَيْءٍ تريد فْعَلَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، أَنْ تَرُدَّ ذَلِكَ إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، عَلَّامِ الْغُيُوبِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشاءَ اللَّهُ.....} .

وفي قولك: (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) نجاح قصدك، وبلوغ مرادك، وتحقيق هدفك، بعد أخذك بالأسباب، فَلَوْلَا أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَالُوا: (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) لَمَا اهْتَدَوْا إِلَى البقرة أَبَدًا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: (قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ: لَأَطُوفَنَّ اللَّيْلَةَ عَلَى سَبْعِينَ امْرَأَةً، تَلِدُ كُلُّ امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ غُلَامًا يُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلَكُ: قُلْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَلَمْ يَقُلْ، فَطَافَ فَلَمْ يَلِدْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ نِصْفَ إِنْسَانٍ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ قَالَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَحْنَثْ، وَكَانَ دَرْكًا لِحَاجَتِهِ).مسلم

وفي قولك: (إِنْ شَاءَ اللَّهُ) ، تحقيق للعبودية، وكمال للتوكل، وحسن أدب مع الله تعالى.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ} .

قِيلَ في هذه الآية: اسْتَثْنَى اللَّهُ فِيمَا يَعْلَمُ لِيَسْتَثْنِيَ الْخَلْقُ فِيمَا لَا يَعْلَمُونَ، ليعَلِّمَنَا الِاسْتِثْنَاءَ.

اللهم اجعلنا هداة مهتدين، واهد بنا، واجعلنا سببًا لمن اهتدى.

(قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لا ذَلُولٌ) أي: مذللة بالعمل، **(تُثِيرُ الأَرْضَ)** بالحراثة **(وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ)** أي: ليست بساقية،

أي إنها ليست مذللة بالحراثة ولا معدة للسقي في الساقية، بل هي مكرمة حسنة .

(مُسَلَّمَةٌ) أي لا عيب فيها ، ليس فيها عرج ولا عور ولا كسر قرن .

(لَا شِيَةَ فِيهَا) أي: لا لون فيها غير لونها الموصوف المتقدم.

(قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ) أي: بالبيان الواضح، وهذا من جهلهم، وإلا فقد جاءهم بالحق أول مرة، فلو أنهم اعترضوا أي بقرة لحصل المقصود، ولكنهم شددوا بكثرة الأسئلة فشدد الله عليهم، ولو لم يقولوا « إن شاء الله » لم يهتدوا أيضا إليها،

(فَذَبَحُوهَا) أي: البقرة التي وصفت بتلك الصفات، وجدوها عند يتيم فاشتروها وذبحوها.

(وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) بسبب التعنت الذي جرى منهم.

(فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ)

قال ابن كثير : يعني أنهم مع هذا البيان وهذه الأسئلة والأجوبة والإيضاح ما ذبحوها إلا بعد الجهد ، وفي هذا ذم لهم ، وذلك أنه لم يكن غرضهم إلا التعنت ، فلهذا ما كادوا يذبحونها

قال ابن جرير الطبري (ما كادوا يفعلون) لامرين أحداهما : غلاء ثمنها، مع ما ذكر لنا من صغر خطرها وقلة قيمتها ، والأخرى: خوف عظيم الفضيحة على أنفسهم بإظهار نبي الله موسى على قاتله .

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} .

قال الشيخ سعيد مصطفى ذياب:احذر أن تكون من المصلين الذين يقال عنهم صلوا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ، أو المتصدقين الذين يقال عنهم تصدقوا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ، أو يقال عنك حج وما كاد يفعل، احذر أن تكون في مؤخرة ركب السائرين إلى الله، فإن التأخر في الطاعة معصية، والتأخر في الاستجابة نوع من أنواع الإعراض.

فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ) صحيح أبي داود

والتأخر عن الطاعة من أسباب كره الله تعالى لتلك الطاعة التي يفعلها صاحبها بالكاد، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لأعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} .

والتأخر عن الطاعة من علامات النفاق؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: (تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ، قَامَ فَنَقَرَهَا أَرْبَعًا، لَا يَذْكُرُ اللهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا). صحيح مسلم

ليكن لسان حالك: {وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى} .

اللهم خذ بنواصينا إليك أخذ الكرام عليك، واجعل طاعتك أحب إلينا من الماء البارد على الظمأ.

وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (72) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)

(وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَٱدَّارَأْتُمْ فِيهَا) أي: واذكُروا يا بني إسرائيل، حين قتلتم نفسًا، فتنازعتُم واختلفتم فيها، كلٌّ يَدفَع قتْلَها عن نفْسه.ابن عثيمين رحمه الله

هذه الآية مؤخرة في التلاوة ، مقدمة في المعنى .

(وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ) أي: إنَّ الله تعالى مُظهِرٌ هذا القاتل؛ ليُعلَمَ.(أي مظهر ما تخفونه) ابن عثيمين رحمه الله.

والآية تدل على أن من فعل سوءاً وكتمه أن الله يظهره، فلا يسر الإنسان سريرة – غالباً – إلا ألبسه الله رداءها.

(فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ) أي: أمَرَهم الله جلَّ ثناؤه أن يضربوا القتيلَ ببعض البقرة؛ ليحيا المضروب، فضَربوه، فحيِيَ بإذن الله عزَّ وجلَّ، وأخبرهم بقاتله.موسوعة التفسير

(بِبَعْضِهَا) أي ببعض البقرة، وهذا البعض لم يحدد ، فأي شيء ضرب به حصلت المعجزة.

وضرب به القتيل فنهض من موته، فسأله موسى عن قاتله فحدثهم عنه (وقيل أشار إلى القاتل فقط من غير أن يتحدث) ثم عاد إلى الموت.

قال ابن كثير: هذا البعض أي شيء كان من أعضاء هذه البقرة، فالمعجزة حاصلة به، وخرق العادة به كائن، وقد كان معيناً في نفس الأمر ، فلو كان في تعيينه لنا فائدة تعود علينا في أمر الدين أو الدنيا لبينه الله تعالى لنا ، ولكنه أبهمه ولم يجي من طريق صحيح عن معصوم بيانه ، فنحن نبهمه كما أبهمه الله .

(كَذَٰلِكَ يُحْيِي ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ) أي : كما أحيا الله هذا القتيل ، وهذا الجم الغفير من الناس ينظرون ، كذلك الإحياء المشاهد يحيي الله الموتى يوم القيامة .

أي: كما أحيا اللهُ تعالى هذا القتيلَ في الدُّنيا، فكذلك يُحيي الموتى بعد مَماتِهم، فيبعثهم يومَ القِيامة.

(وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ) أي : يجعلكم ترونها واضحة .

✉**قال القاسمي :** (وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ) أي : دلائله الدالة على أنه تعالى على كل شيء قدير ، ويجوز أن يراد بالآيات هذا الإحياء .

☜والتعبير عنه بالجمع لاشتماله على أمور بديعة من ترتب الحياة على عضو ميت، وإخباره بقاتله، وما يلابسه من الأمور الخارقة للعادة.

📃**وسبق أن آيات الله تنقسم إلى قسمين:**

❶آيات كونية: كالشمس والقمر والليل والنهار، ⇦ومعنى أنها آية : أي علامة على كمال قدرة الله .

❷وآيات شرعية :كالوحي المنزل كقوله تعالى (رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ) أي : آياته الدينية الشرعية ، سميت [الآية الشرعية] ⇦آية لأنها علامة على صدق من جاء بها لما فيها من الإعجاز .

(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) أي : لأجل أن تدركوا بعقولكم أنه – جل وعلا – يحيي الناس بعد الموت ، ويبعثهم من قبورهم ، وأنه قادر على كل شيء .

⇦أي: يُظهر اللهُ تعالى لكم العلاماتِ الواضحةَ على كمال قُدرته في إحيائه الموتى، وبَعثِهم بعد موتهم؛ كي تنزجِروا عمَّا يضرُّكم، وتمتنعوا عن عِصيانه جلَّ وعلا. موسوعة التفسير

📃**فهو دليل قرآني على البعث:**

✉**قال الشنقيطي** : أشار في هذه الآية إلى أن إحياء قتيل بني إسرائيل دليل على بعث الناس بعد الموت ، لأن من أحيا نفساً واحدة بعد موتها ، قادر على إحياء جميع النفوس ، وقد صرح بهذا في قوله تعالى (مَا خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ) .

📃**ما هو البعث؟**

⇦البعث لغة :الإرسال، والنشر.

⇦وشرعًا :إحياء الأموات يوم القيامة.

📃**فما هو (البعث)؟ وما الدليل عليه؟**

⇦والبعث دلَّ عليه الكتاب، والسُّنَّة، والإجماع.

⇦فمِن الكتاب :قوله تعالى :﴿ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ (التغابن:7)

⇦ومن السُّنة :حديث جابر رضي الله عنه عند مسلم قال النَّبي صلى الله عليه وسلم: "يُبْعَثُ كُلُّ عَبْدٍ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ " رواه مسلم.

⇦وأجمع السَّلَف رحمهم الله على إثبات البعث ليوم القيامة.

لعظم أمر البعث؛ جاء إثباته في القرآن، والسُّنَّة بطرق كثيرة، منها:الألوكة

❶فتارة بالتصريح: كقوله تعالى :﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ ، (التغابن: ٧)، وقوله :﴿ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّـهُ ﴾ (الأنعام: ٣٦).

❷وتارة بتذكير الإنسان بنشأته الأولى: كقوله تعالى :﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ *خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ *يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ *إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴾ (الطارق: ٥، ٨).

❸وتارة بالاستدلال بإنبات النبات على إحياء الأموات: كقوله تعالى :﴿ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّـهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(الروم: 50).

❹وتارة بالإشارة، والتأمُّل في خلق السموات والأرض: كقوله تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّـهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾]الأحقاف: ٣٣.[

❺وتارة بتنزيه الله تعالى عن العبث، إذ أنه لو لم يكن هناك بعث لكانت الأوامر، والنواهي، والجزاء من العبث: كقوله تعالى :﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ (المؤمنون: ١١٥)

❻وتارة بذكر القصص، والوقائع التي تدلّ على البعث: كقِصَّة الذي مرَّ على قرية، وهي خاوية على عروشها، فأماته الله تعالى مائة عام، ثم بعثه، وقِصَّة قتيل بني إسرائيل، وقِصَّة الذين أُخرِجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، وقصة إبراهيم - عليه السلام - والطيور الأربعة، وقِصَّة أصحاب الكهف.

والله تعالى قد ذكر في هذه السورة خمس قصص تدل على البعث :

❁الموضع الأول: قصة بني إسرائيل التي سبقت (وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) .

❁الموضع الثاني : هذا الموضع (فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) .

❁الموضع الثالث : قوله تعالى (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) .

❁الموضع الرابع : قوله تعالى في عزير وحماره (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) .

الموضع الخامس : قوله تعالى في طيور إبراهيم (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .

متى يكون البعث؟

البعث يكون بعد النفخة الثانية، ولكن قبل النفخة ينزل ماء من السماء تنبت منه أجساد العباد، دلّ على ذلك: حديث ابن عمرو رضي الله عنهما عند مسلم، قال صلى الله عليه وسلم: " ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ، فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ. قَالَ: فَيَصْعَقُ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ. ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ، أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ، أَوِ الظِّلُّ (نُعْمَانُ الشَّاكّ) فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلموا إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ..."[رواه مسلم].

وإنبات الأجساد بعد نزول المطر عليها يماثل إنبات النبات من الأرض إذا نزل الماء عليها، جسد الإنسان يبلى في القبر إلا: (عَجْب الذنب)، فمِنه يُركَّب الخلق يوم القيامة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ"، قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ. " ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ"[رواه مسلم]، وقال صلى الله عليه وسلم: "وَلَيْسَ مِنَ الإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلاَّ يَبْلَى، إِلاَّ عَظْمًا وَاحِدًا وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[رواه بخاري ومسلم].

ولذا كثيرًا ما يضرب الله -تعالى - في كتابه الكريم المثل للبعث، والنشور، بإحياء الأرض بالنبات، قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: 57]

وأول من تنشق عنه الأرض فيبعث: هو النَّبي صلى الله عليه وسلم.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} .

ما أكثرَ آياتِ اللهِ المبثوثةِ في الكونِ، وما أكثرَ أولئك الذين يمرون على آيَاتِ اللهِ، ويرونها ليل نهار فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ثم يعرضون عنها، كأن لم يروها، {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ} .105 يوسف

فالواجب أن ننتفع بآيات الله الكونية، ونتوقف مع الآيات بالنظر والتأمل، ثم الاتعاظ والإعتبار، فيحصل للقلوب زيادة الإيمان بالخالق العظيم.

أما من لا ينتفع ولا يتأمل ولا يعتبر ولا يتعظ ، فذمه الله تعالى في كتابه :

قال تعالى (لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)179 الاعراف

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ) يقول تعالى توبيخاً لبني إسرائيل وتقريعاً لهم على ما شاهدوه من آيات الله تعالى وإحيائه القتيل (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أي : أصبحت قاسية غليظة لا تتأثر بمواعظ ولا يدخلها خير .

📃**معنى قسوة القلب** : غلظتها وشدتها بحيث لا ينفع فيها وعظ ولا تذكير .

📃**قال القرطبي:** القسوة: الصلابة والشدّة واليُبْس، وهي عبارة عن خلوّها من الإنابة والإذعان لآيات الله تعالى.

(مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أي : من بعد ذلك الأمر الذي عاينتموه ، وهو إحياء القتيل ، الذي هو أعظم سبب للين القلب .

✉أي من بعد رؤية هذا القتيل حيث أحياه الله تعالى وهذه آية كبرى ومعجزة عظمى لموسى ﷺ تبعث على مزيد من الإيمان والإقبال على الله تعالى والخوف منه ومراقبته، ولين القلب وذهاب الغفلة عنه إلا أن الذي حصل هو عكس ذلك، فمثل هؤلاء الذين رأوا هذا القتيل يحيا ثم يتكلم، ثم يموت مرة أخرى، هذه معجزة عظمى تحملهم على الإيمان ومع ذلك قست قلوبهم ثانية وكأن شيئاً لم يكن.خالد السبت

📃**قال ابن عاشور** : قوله تعالى (من بعد ذلك) زيادة تعجيب من طرق القساوة للقلب بعد تكرر جميع الآيات السابقة المشار إلى مجموعها بذلك .

⇦وقد نهانا الله تعالى أن نتشبه بأهل الكتاب في قسوة قلوبهم كما في الآية السابقة ، فوصف أهل الكتاب بالقسوة ونهانا عن التشبه بهم.

📑**أسباب قسوة القلب :**

❶ : **نقض العهد مع الله**.

قال تعالى (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) .

⇦قال ابن عقيل يوماً في موعظته: يا من يجد في قلبه قسوة ، احذر أن تكون نقضت عهداً ، فإن الله يقول (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ ...) .

❷ : **طول الأمل**.

قال تعالى : (أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ) .

☜ولذلك طول الأمل ينسي الآخرة ، ⇦ **كما قال علي** : أخوف ما أخاف عليكم اثنتين : طول الأمل واتباع الهوى ، فطول الأمل ينسي الآخرة ، واتباع الهوى يصد عن الحق .

☜**فليس هناك أنفع للقلب من قصر الأمل (وهو العلم بقرب الرحيل)** .

عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ (وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ) صحيح بخاري

❸ : **كثرة الأكل ، والنوم والكلام والمخالطة .**

☜**قال بشر** : خصلتان تقسّيان القلب : كثرة الكلام ، وكثرة الأكل .

☜**قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة** : الأكل والنوم والكلام والمخالطة .

❹ : **كثرة الذنوب .**

قال صلى الله عليه وسلم (إنَّ العبدَ إذا أخطأَ خطيئةً نُكِتت في قلبِهِ نُكْتةٌ سوداءُ، فإذا هوَ نزعَ واستَغفرَ وتابَ سُقِلَ قلبُهُ، وإن عادَ زيدَ فيها حتَّى تعلوَ قلبَهُ، وَهوَ الرَّانُ الَّذي ذَكرَ اللَّه (كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) صحيح الترميذي

قال ابن المبارك :

رأيت الذنوب تميت القلوب ويورث الذل إدمانها.

وترْك الذنوب حياة القلوب وخيرٌ لنفسِك عصيانها.

كما أن البدن إذا مرض لم ينفع فيه الطعام والشراب، فكذلك القلب إذا مرض بالشهوات لم تنجح فيه المواعظ .

علامات رقة ولين القلب :

❶ : **الإكثار من ذكر الله** .

قال تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (28)الرعد

قال رجل للحسن: يا أبا سعيد ، أشكو إليك قسوة قلبي ، قال : أذبه بذكر الله .

قال بعض السلف: دواء القلب من خمسة أشياء : قراءة القرآن بالتفكر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين .

❷ : **العطف على المسكين** .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلًا شكا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه، قال: ((إن أردت أن يلين قلبك، فأطعم المسكين، وامسح برأس اليتيم)) صحيح الجامع

❸ : **زيارة المقابر** .

قال صلى الله عليه وسلم : (كنتُ نهيتُكم عن زيارَةِ القبور ألا فزورُوها ، فإنَّها تُرقُّ القلْبَ ، و تُدْمِعُ العينَ ، وتُذَكِّرُ الآخرةَ ، ولا تقولوا هُجْرًا) صحيح الجامع

❹ : **كثرة ذكر الموت.**

قال صلى الله عليه وسلم (أكثروا ذكرَ هاذمِ اللذاتِ) رواه الترمذي .

لما في ذلك من رقة القلب ، ونشاط العبادة ، وتعجيل التوبة ، والإقلاع عن المعاصي .

قال سعيد بن جبير : لو فارق الموت ذكر قلبي لفسد .

❺ : **أكل الحلال**.

وسُئِل الإمام أحمد رحمه الله: بِمَ تلين القلوب؟ قال : بأكل الحلال .

❻ : **الدعاء بسلامة القلب** .

كان صلى الله عليه وسلم يقول (وأسألك قلبًا سليمًا .....) السلسة الصحيحة

❼: **الاستجابة لأمر الله ورسوله** .

قال تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ) 24 الانفال.

(ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (74)

(فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ) أي : فهي كالحجارة التي لا تلين أبداً ، فلا علاج للينها .

قال البغوي: وإنما لم يشبهها بالحديد مع أنه أصلب من الحجارة، لأن الحديد قابل للين فإنه يلين بالنار، وقد لان لداود عليه السلام، والحجارة لا تلين قط.

ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ **(كَالْحِجَارَةِ)** التي هي أشد قسوة من الحديد، لأن الحديد والرصاص إذا أذيب في النار، ذاب بخلاف الأحجار.

وقوله: (أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً) هي بمعنى (بل) والتقدير فهي كالحجارة بل أشد قسوة .

وقيل: هي بمعنى (الواو) والتقدير: فهي كالحجارة وأشد قسوة.

قال ابن القيم: ما ضربَ عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله .

⇦خلقت النار لإذابة القلوب القاسية⇦أبعد القلوب من الله القلب القاسي.

☜ثم ذكر فضيلة الأحجار على قلوبهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً} .

صدق الله ومن أصدق من الله قيلا، بعض البشر قلوبهم أَشَدُّ قَسْوَةً من الْحِجَارَةِ، وأكثر جمودًا من الصخر، يرى ما يذيب الصخر، ويفتت الكبد، فلا يتأثر، ولا يحرك ساكنًا.

لسان حاله:

يُبْكَى عَلَيْنَا وَلَا نَبْكِي عَلَى أَحَدٍ لنَحْنُ أَغْلَظُ أَكْبَادًا مِنَ الْإِبِلِ

(وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ) أي : تتدفق منها الأنهار الغزيرة .

(وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ) أي : ومن الحجارة ما يتصدع إشفاقاً من عظمة الله فينبع منه الماء .

(وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ) أي : ومنها ما يتفتت ويتردى من رؤوس الجبال من خشية الله .

شبه ربنا قسوة القلب (و هى شيء غير محسوس) بالحجارة (وهى شيء محسوس) ليتبين بذلك مدى قسوة قلوبهم بإعراضهم عن الحق؛ و استكبارهم عليه.

قال بعض العلماء: أنّه ما هبط حجرٌ من جبلٍ إلاّ خشية لله عزوجل..

☜وفي تأويل هذه الآية أقوال للمفسّرين إلاّ أنّ أعظمها هو أنّ هذه الجبال تخشى الله عزوجل وتُعظِّمَه وما من مخلوق إلاّ ويُعظّم الله عزوجل ....

كما في قوله تعالى (لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) .

✉يعني أن الله أعطى هذه المخلوقات والكائنات من الإدراك كل بحسبه، فهي تخشى الله حقيقة، كما قال الله تعالى :(تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ)[سورة الإسراء:44]، وقال سبحانه :(سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[سورة الحديد:1]، وقال تعالى :(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) [سورة الجمعة:1] فهي تسبح الله تسبيحاً حقيقياً، وتخشى الله خشية حقيقية.

- قال صلى الله عليه وسلم (إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلم علي) رواه مسلم.
- وقال قال صلى الله عليه وسلم (أحد جبل يحبنا ونحبه) متفق عليه.
- وقد حن الجذع لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
- وقد سبح الحصى في يد رسول الله قال صلى الله عليه وسلم.

✉فالحجارة يحصل منها هذا حقيقة، فلا حاجة للمجاز، هذه الخشية المذكورة في الآية حقيقة وليس بمجاز.خالد السبت

☜فهذه الجِبال الصمّ، القاسِية إنّها لتخشَى الله عزّ وجل، كما إندك جبل الطور لما تجلي ربنا تبارك وتعالي له ، وكما اضطرب جبل أحد تحت قدمي رسول الله صلي الله عليه وسلم وأصحابه..

قال تعالى (وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (143)

⇦عن ابن عباس في قول الله تعالى : (فلما تجلى ربه للجبل) قال : ما تجلى منه إلا قدر الخنصر (جعله دكا) قال : ترابا (وخر موسى صعقا) قال : مغشيا عليه . رواه ابن جرير

☜فبهذه الأمور كانت الجمادات أفضل من قلوبكم.

قال الشيخ سعيد مصطفى: العجبُ كل العجبِ أن تخشى الحجارةُ وهي غيرُ مكلفةٍ، ولا يتأتى منها ذنبٌ، ولا يُتَصَورُ منها مَعْصِيةٌ، ولا يخشى ابنُ آدمَ، وقد زكمت رائحةُ ذنوبِهِ الأُنُوفَ، وظَهَرَ فَسَادُهُ في البرِ والبحرِ.

العجبُ أن يخشعَ الجبلُ الشامخُ، والطودُ الأشمُ، ولا يخشعُ ابنُ آدمَ، على ضعفِهِ، وَصِغَرِ حَجْمِهِ.

وبعض الناس لا يحركُ فيه القرآنُ سَاكِنًا، ولا يُسَكِّنُ فيه مُتَحَرِكًا.

✋(و ان منها لما يهبط من خشية الله) ؛ حجارة تخشي الله سبحانه ؛ و من عباد الله من يجاهر بمعصية الله و لا يخافه و يتنعم بنعم الله و لايخشاه ؛ و ذلك من قلة العلم بالله تعالي ؛ لأن الخشية هى الخوف المقرون بالعلم ؛ فمن علم عظمة الله سبحانه فلابد أن يخشاه.

اللهم امْلَأْ قلوبنا منك خشيةً، وامْلَأْ نفوسنا منك هيبةً.

ولكنكم لم تنتفعوا بذلك؛ إذ بعد كل هذه المعجزات الخارقة اشتدت قلوبكم وغلظت، فلم يَنْفُذ إليها خير، ولم تَلِنْ أمام الآيات الباهرة التي أريتكموها، حتى صارت قلوبكم مثل الحجارة الصمَّاء، بل هي أشد منها غلظة؛ لأن من الحجارة ما يتسع وينفرج حتى تنصبَّ منه المياه صبًا، فتصير أنهارًا جاريةً، ومن الحجارة ما يتصدع فينشق، فتخرج منه العيون والينابيع، ومن الحجارة ما يسقط من أعالي الجبال مِن خشية الله تعالى وتعظيمه.

ثم توعدهم تعالى أشد الوعيد فقال:

(وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) أي : أنه تعالى رقيب على أعمالكم لا يخفي عليه خافية ، وسيجازيهم عليها ، وفي هذا وعيد وتهديد .

قال القاسمي : وقوله تعالى (وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) فيه من التهديد وتشديد الوعيد ما لا يخفى.

فإن الله عز وجل إذا كان عالماً بما يعملونه، مطلعاً عليه غير غافل عنه ، كان لمجازاتهم بالمرصاد .

والغفلة صفة منفية فيجب نفيها عن الله مع إثبات ضدها، فالله لا يغفل لكمال علمه .

ياله من تَهْدِيدٍ شَدِيدٍ، وَوَعِيدٍ مُرْعِبٍ يذيبُ الصخرَ، ويدكُ الجبالَ ، لو صادف قلوبًا حيةً، وآذانًا واعيةً.

(وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) 5 مرات في القرآن

❹ أربع مرات في سورة البقرة ومرة واحدة ❶ في آل عمران

(وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يعْمَلُونَ) غريبة في البقرة 144

فما أكثر الشواهد، وما أكثر العبر، وما أكثر المواعظ، ولكن تحتاج فقط منا إلى أن نعتبر، ونتأمل بعقولنا وتفكيرنا، وننظر ببصرنا وبصيرتنا، حتى تؤثر فينا هذه العبر، وتحرك الران الذي في قلوبنا، وتغير أحوالنا، وتصلح ما فسد فينا، فالسعيد من اعتبر بغيره، والشقي من كان عبرة لغيره،يقول سيدنا عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :- (المؤمن إِنْ سَكَتَ تَفَكَّر، وَإِنْ تَكَلَّمَ ذَكَرَ، وَإِذَا نَظَرَ اعْتَبَرَ، وَإِذَا اسْتَغْنَى شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ)(الشريعة للآجري) .